التقوى وثمراتها
في القرآن الكريم

أ. د. أبو اليزيد أحمد حماشة
أستاذ بقسم التفسير

(١٢ – حوليه)

التقوى فى لسان الشرع :

التقوى صفة عظيمة يرغب فيها القرآن كثيراً فى العديد من آياته وسوره ويدعو الى ضرورة التحلى بها سراً وعلناً وفى سائر الظروف والأوضاع لأنها أم الفضائل وجماع الخير كله ولها الأثر الطيب فى سلوك الفرد والجماعة وكيف لا وهى التى بمقتضاها تحفظ الحقــوق وتؤدى الواجبات وتصان العهود وبدونها تسوء المعاملات وتنعدم الثقة وتتقطع أواصر المحبة بين الناس ويصيرون متناحرين يضرب بعضهم رقاب بعض ويعثون فى الأرض مفسدين .

والتقوى فى لسان الشرع هى اتقاء عذاب الله وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (١) .

مدلول التقوى :

وهى فى مدلولها لا تكاد تختلف عن البر فى مدلوله ولاأدل على ذلك من أنه تعالى بعد ما بين أصول البر نوه بفضل الأبرار المستجمعين لهذه الأصول حيث حكم عليهم بأنهم الصادقون وأنهم المتقون وذلك وارد فى الآية الكريمة من سورة البقرة وهى قوله جل شأنه :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (٢) .

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج ٢ ص ٦٨٠

(٢) البقرة : ١٧٧

٢

أى أهـــل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا فى إيمانهم وأولئك هم الكاملون فى التقوى وحينما أنكر على أهل الجاهلية ما كانوا يفعلون حالة إحرامهم من إتيانهم البيوت من ظهورها وترك إتيانها من أبوابها باسم البر بين أن هذا ليس من البر فى شىء وإنما البر ما يكون بإتقاء موجبات السخط والعقاب وفعل ما يجلب الرضا والثواب .

« وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من إتق وأتوا البيوت من أبوابها وإتقوا الله لعلكم تفلحون » ...[1] .

وعلى هـذا فالبر والتقوى كلمتان جامعتان لكل أوصاف الخير ومشتملتان على أصول الإعتقاد والعمل والفرائض والنوافل وأن مفهوم كل منهما هو عين مفهوم الأخرى وكلاهما محقق للفرد والجماعة حياة التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل .

إشادة الله ورسوله بشأن التقوى :

وفى شأن الإشادة بالتقوى قال الله تعالى :

« ياأيها الذين أمنوا أتقوا الله حق تقامه » ...[2] .

وقال تعالى : « فاتقوا الله ما إستطعتم » ...[3] .

وهذه الآيه مبينه للمراد من الأولى وقال تعالى « ياأيها الذين أمنوا إتقوا الله وقولوا قولا سديدا » ...[4] .

والآيات فى الأمر بالتقوى كثيره معلومه .

---

(١) البقرة ١٨٩ (٢) آل عمران ١٠٢

(٣) التغابن ١٦ (٤) الأحزاب ٧١

وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب »...(١) .

وقال تعالى : « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم »....(٢) .

وأما الأحاديث الواردة فى ذلك فمن أبى هريره رضى الله عنه « قال قيل يارسول الله من أكرم الناس قال أتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك. قال فيوسف نبي الله إبن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فمن معادن العرب تسألونى خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا »...(٤) .

وعن إبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ « قال إن الدنيا حلوه خضرة » وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فإتقوا الدنيا وإتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء »...(٣) .

وعن إبن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : « اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى » ...(٥) .

وعن أبى طريف عدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ « يقول من حلف على يمين ثم رأى أتقى لله منها فليأت التقوى »... (٦) .

وعن أبى أمامه الباهلى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) الطلاق ٢ ، ٣ (٢) الأنفال ٢٩
(٣) متفق عليه (٤) رواه مسلم —
(٥) رواه مسلم — (٦) رواه مسلم —

يخطب فى حجه الوداع فقال : «إتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا أمراءكم تدخلوا جنة ربكم» ...(١).

وإنما أشاد الله ورسوله بشأن التقوى على نحو ما رأينا فى هذه النصوص المباركة لأن القيام بمقتضياتها لا يعنى إلا تطبيق المنهج الإلهى الذى إرتضاه الله لعباده ديناً قيماً وصراطاً مستقيماً وقال عنه : «وأن هذا صراطى مستقيماً فإتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون» ...(٢).

مكانة التقوى :

ولما كانت التقوى بهذه المثابه فقد أفاض القرآن فى حديثة عن بيان فضلها وإبراز مكانتها وأولاها من عنايته وتوجيهاته ما يناسب قدرها وعظيم شرفها لتجد النفوس الذكيه فى تحصيلها وتتنافس القلوب الطاهره فى تفيء ظلالها ويبادر أهل الآثام إلى التطهر بطيب طهورها والظفر بالخير الناجم عنها فهى خير زاد يتزود به الإنسان لآخرته.

« وتزودوا فإن خير الزاد التقوى » ...(٣).

والعفو مرغب فيه شرعاً لأنه أقرب لها .

« وأن تعفوا أقرب للتقوى » ...(٤).

والتعاون على تحقيقها مقترنه بالبر فريضه محكمة على جماعة المؤمنين.

« وتعاونوا على البر والتقوى » ...(٥).

---

(١) رواه الترمذى —
(٢) البقرة آية ٢٣٧
(٣) البقرة آية ١٩٧
(٤) المائدة آية ٤٣
(٥) المائدة آية ٨

وعدل المؤمنين مع من يبغضونهم أقرب لتقواهم لله « ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى »...[١].

ولباس الورع والخشية من الله تعالى خير ما يتزين به المرء فإن طهارة الباطن أهم من جمال الظاهر.

« ولباس التقوى ذلك خير »...[٢].

ومسجد قباء الذى بنى على تقوى الله وطاعته من أول يوم أبتدىء فى بنائه أولى وأجدر بأن يصلى فيه رسول الله ﷺ من مسجد الضرار.

« لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه »...[٣].

ولا يستوى أبداً من أسس بنيانه على تقوى وخوف من الله تعالى وطلب لمرضاته بالطاعة وهذا الذى أسس بنيانه على طرف وادى متصدع مشرف على السقوط فسقط به البناء فى نار جهنم.

« أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيراً أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فإنهار به فى نار جهنم »...[٤].

وحسن العاقبة وهى الجنة لأهل التقوى.

« وأمر أهلك بالصلاة وإصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى »...[٥].

وتعظيم أمور الدين ومنها أعمال الحج والأضاحى والهدايا من أفعال المتقين لله.

---

(١) المائدة آية ٨ (٢) الإعراف الآية ٢٦
(٣) التوبة الآية ١٠٨ (٤) التوبة آية ١٠٩
(٥) طه آية ١٣٢.

« ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »...(١) .

والهدايا المتقرب بها إليه تعالى لا يصل إليه شيء من لحومها ولادماؤها ولكن يصل إليه التقوى من المتقربين بها إليه بأمتثال أوامره وطلبهم رضوانه .

« لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم »(٢) .

ورسول الله والمؤمنون إختار الله لهم كلمة التقوى إلزام تكريم وتشريف وهى كلمة التوحيد وكانوا أحق بهذه الفضيلة من كفار مكة لأن الله إختارهم لدينه « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها »..(٣) .

والذين يخفضون أصواتهم فى حضرة رسول الله ﷺ وهم الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى ومرنها عليها وجعلها صفة راسخة فيها .

« إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين أمتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم »..(٤) .

والمؤمنون منهيون من أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود ومأمورون أن يتناجوا بالطاعة والتقوى والعفاف عما نهى الله عنه .

« يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلاتتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون »..(٥) .

والله جل وعلا حقيق بأن يتق عذابه ويطاع وحقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه .

« هو أهل التقوى وأهل المغفرة »...(٦) .

---

(١) الحج آية ٣٢ (٢) الحج آية ٣٧
(٣) الفتح آية ٢٦ (٤) الحجرات آية ٣
(٥) المجادلة آية ٩ (٦) المدثر آية ٥٦

والنبي محمد ﷺ هو الصالح المهتدى على الطريقة المستقيمة فى قوله وفعله . والآمر بالإخلاص والتوحيد والداعى إلى الهدى والرشاد .

«أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى»(١).

ذلك طرف يسير من حديث القرآن عن التقوى وقد تبين من خلاله سمو مكانتها وعظيمة مانرمى إليه وأنه لابد من ملازمتها لكل عمل يقدم عليه المرء فى حياته لتطبع فى نفسه ملكة خشية الله وتعظيمه ومراقبته ، وتعلى همته وتقوى عزيمته وإرادته فتزكو نفسه وتنفر من المعاصى والرذائل وتألف الطاعات والفضائل ولن يتيسر له ذلك إلا ببذل الجهد فى مجاهدة النفس ومخالفة الأهواء وتحقيق مابين الله لعباده من مراده بالتقوى حسبما هو وارد فى قوله تعالى : «يأيها الذين آمنوا إتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون»(٢).

تقوى الله حق تقاته :

فهذه الآية الكريمة تبين أن التقوى المأمور بها من قبل الله هى تقواه حق تقاته وفى معناها يقول ابن مسعود رضى الله عنه .

«هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينس»(٣) .

وعن ابن عبـــاس أنه فسرها . «بأن يجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تأخذهم فى الله لومه لائم . ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم»(٤).

(١) العلق ١٢ (٢) آل عمران ١٠٢
(٣) تفسير البيضاوى جـ ١ ص ١٥٠
(٤) المنار جـ ٤ ص ١٦

وقد فهم بعض العلماء من هاتين الروايتين أن العباد قد كلفوا فى هذه الآية بما لا طاقة لهم به ... ويروون فى ذلك عن سعيد بن جبير أنه قال إنها لما نزلت إشتد على القوم العمل فقاموا فى «صلاة الليل» حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تخفيفا عليهم. «فإتقوا الله ما إستطعتم»[١].

ونسخ ذلك قوله «إتقوا الله حق تقاته» وهذا فهم ليس بمستقيم لأن تقوى الله حق تقاته . هى تقوى الله ما استطاع الإنسان ولا تعارض بينهما إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . وهى ترجع إلى حفظ النفس من كل ما يدنسها خوفا من غضب الله وطمعاً فى مرضاته وعملا على إقرار الحق والصلاح فى كل نواحى الحياة وأن يكون ذلك كله بقدر ما فى وسع الإنسان من فعل الخير والمعروف مع الإخلاص فيهما دون تفريط، إذا تحققت التقوى على هذا النحو واتق كل إنسان ربه وراقبه وأمتلأت نفسه بعظمته فخاف غضبه ورجا رضاه طهرت نفسه وأشرق عليها نور الحق واليقين واتجهت إلى الخير فى سائر أحوالها فأفادت واستفادت ونشرت على الناس الكثير من بركات المتقين الذين مجد الله أمرهم بقوله تعالى :

«إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون وفى أموالهم حق للسائل والمحروم»[٢].

---

(١) روح المعانى ج ١٠ ص ١٢٧

(٢) سورة الذاريات ١٥ : ١٩

أنواع تقوى الله حق تقاته :

هذا ولتقوى الله حق تقاته نوعان وكل منهما يتق به نوع من أنواع عقاب الله تعالى وعقابه نوعان دنيوى وآخروى وكل منهما يتق بإتقاء أسبابه وهى نوعان : مخالفة دين الله وشرعه ومخالفة سننه فى نظام خلقه فأما عقاب الآخرة فيتق بالإيمان الصحيح والتوحيد الخالص والعمل الصالح واجتناب ماينافى ذلك من الشرك والكفر والمعاصى والرذائل وذلك مبين فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأفضل مايستعان به على فهمهما واتباعهما سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأولين من آل الرسول وعلماء الأمصار، وأما عقاب الدنيا فيجب أن يستعان على إتقائه بالعلم بسنن الله تعالى فى هذا العالم ولاسيما سنن إعتدال المزاج وصحة الأبدان وأمثلتها ظاهرة — وسنن الإجتماع البشرى فإتقاء الفشل والخذلان فى القتال يتوقف على معرفة نظام الحرب وفنونها وإتقان آلاتها وأسلحتها التى إرتقت فى هذا العصر إرتقاء عجيبا وهو المشار إليه بقوله تعالى :

«واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل»[1].

كما يتوقف على أسباب القوة المعنوية من اجتماع الكلمة واتحاد الأمة والصبر والثبات والتوكل على الله وإحتساب الأجر عنده .

«يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين»[2].

---

(١) سورة الأنفال ٦٠

(٢) — (أ) سورة الأنفال ٤٥—٤٦

(ب) انظر تفسير المنار جـ ١ صـ ١٠٥ — ١٠٦

وبناء على ذلك يكون قد اتضح كل من نوعى تقوى الله حق تقاته إتضاحا لايكلف من يريده إلا الإقبال عليه والجد فى الأخذ به لينجو من الهلكة ويعتصم من الضلال .

«وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون»[١] .

إعداد النفوس لتقوى الله :

لم يترك الله عباده الذين كلفهم تقواه فى كل ما يأتون وما يذرون دون أن يبين لهم ما يؤهلهم للإرتقاء بذواتهم إلى مستوى التقوى والقيام بحقوقها على أكمل الوجوه وأحسنها وإنما بين لهم ذلك فى كتابه المحكم الذى لايقر إلا الحق ولا ينطق إلا بالصدق وألزمهم العمل به فى آيات بينات لا يبلى الدهر جدتها وأودع فى هذه الآيات مايؤكد أن هذا العمل كفيل بإعداد من يواظب عليه إعدادا طيبا للقيام بمقتضيات التقوى والمداومة عليها فى خلوته وجلوته وفى سائر معاملاته ويمكن لكل من له صلة بكتاب الله الوقوف على ذلك من خلال النظرة المتأملة فيما شرع الله تعالى لعباده فى هذا الصدد فقد أمر الله جل وعلا الناس جميعا أن يعبدوه وعبادته تعالى هى التى تعدهم للتقوى ويرجى بها بلوغ غاية الكمال القصوى .

«يأيها الناس إعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون»[٢].

---

(١) التوبة ١١٥ (٢) البقرة آية ٢١

وطلب إليهم أن يذكروا الكتاب المنزل عليهم وأن يعملوا بما فيه بجد وعزيمة وأن يحفظوا ما فيه ولا ينسوا ولا يغفلوا عنه ليتقوا الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة وكان ذلك من خلال ما ذكر به بنى إسرائيل من العهد الذى أخذه عليهم بالعمل بما فى التوراة حين رفع الطور حتى صار فوقهم كالظلة وأمرهم أن يعملوا بمقتضى هذا العهد وأن لا يتراخوا عنه فيكونوا من الهالكين .

« وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون »[١] .

« وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون »[٢] .

ولما كان فى القصاص حياتهم شرعه لهم ليعدهم ويهيئهم للتقوى والإحتراس من سفك الدماء وسائر دروب الإعتداء إن العاقل حريص على الحياة ولوع بالأخذ بوسائلها والاحتراس من غوائلها .

« ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون »[٣] .

ولما كتب تعالى الصيام على المؤمنين كما كتبه على من قبلهم أردف ذلك ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعالى بتركه شهواته الطبيعية المباحة الميسورة إمتثالا لأمره واحتسابا للأجر عنده . فتتربى بذلك إرادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها فيكون اجتنابها أيسر عليه وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والإصطبار عليها فيكون الثبات عليها أهون عليه .

---

(١) البقرة آية ٢١ (٢) الأعراف ١٧١
(٣) البقرة آية ١٧٩

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »[1] .

ولما بين أحكام الصيام ونهى عن قربها أخبر أنه على هذا النحو من بيان أحكام الصيام فى أوله وآخره وحقيقته وعزيمته ورخصته وفائدته وحكمته بين آياته للناس أتم البيان وأكمله . ليحملهم للتقوى والتباعد عن الوهم والهوى .

« تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون »[2] .

وحين كلف نبيه محمد ﷺ أن ينذر بالقرآن جماعة المؤمنين الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين يخافون وطأة الحشر والقدوم على الله عز وجل وما فيه من شدة الحساب وما يتبعه من الجزاء على الأعمال فى يوم « لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وكل يأتيه فيه فرداً ليس له من دون الله ولى ينصره ولا شفيع يدفع عنه . بين أن هؤلاء هم الذين يرجى أن يتقوا الله تعالى إهتداء بانذاره ويتحروا ما يؤدى إلى مرضاته لا يصدهم عن تقواه الإتكال على الأولياء ولا الاعتماد عن الشفعاء لصحة توحيدهم وعلمهم أن الشفاعة لله جميعاً .

« وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون »...[3] .

وبين أنه ما على المتقين شيء من حساب الخائضين فى القرآن المستهزئين بالرسول والمؤمنين ولكن عليهم أن يذكروهم ويعظوهم وينكروا عليهم

---

(١) البقرة آية ١٨٣ (٢) البقرة آية ١٨٧
(٣) الأنعام آية ٥١

فى تلك الحال لعل ذلك يؤهلهم للتقوى ويجعلهم مستعـــدين لها فيتقون الخوض والاستهزاء ولو فى حضرتهم ،

« وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون »...[١] .

وعندما أوصى باتباع صراط الحق المستقيم ونهى عن سبل الضلال ، والأباطيل المعوجة أخبر إنه ما وصى بذلك إلا ليعد به المخاطبين ويهيئهم لما يرجى لكل من اتبعه من اتقاء كل ما يشقيه ويرديه فى دنياه وآخرته .

وأن هذا اصراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »[٢] .

وأخبر تعالى : أن الوعظ بالموعظة الحسنة أمر ضرورى لتحقيق الحياة الطيبة للواعظ والموعوظ حتى ولو كان الموعوظ قد استوجب العذاب نتيجة سوء فعاله وذميم خصاله فقد ورد فى الذين كانوا يعتدون فى السبت أن أهل قريتهم كانوا ثلاث فرق . فرقة العادين . وفرقة الواعظين الذين نهو العادين عن العدوان ووعظوهم ليكفوا عنه . وفرقه اللائمين للواعظين التى قالت لهم : لما تعظون قوما قضى الله عليهم بالهلكة أو بالعذاب الشديد . قال الواعظون للائمين نعظهم وعظ عذر نعتذر به إلى ربكم عن السكوت على المنكر وقد أمرنا بالتناهى عنه ورجاء فى انتفاعهم بالموعظة وحملهم على اتقاء الإعتداء الذى اقترفوه فنحن لم نيأس من رجوعهم إلى الحق كيأسكم[٣] .

---

(١) الأنعام آية ٦٩ (٢) الأنعام الآية ١٥٣

(٣) مختصر ابن كثير جـ ٢ ص ٥٨ — ٥٩

« وإذ قالت أمة منهم لما تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون »(١) .

وهو جل وعلا أنزل الكتاب على نبيه ﷺ بلغة العرب ليعرفوا أنه فى الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر وكرر فيه الإنذار والوعيد كى يتقوا الكفر والمعاصى أو يحدث لهم موعظة فى القلوب ينشأ عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهى .

« وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا »(٢) .

كما أنه تبارك اسمه ، بين ووضح للناس فى هذا القرآن من كل الأمثال النافعة والأخبار الواضحة ما يحتاجون إليه لعلهم يتعظون ويعتبرون بتلك الأمثال والزواجر حال كونه قرآناً عربيا لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه ولا تعارض ولا تناقض لكى يتقوا الله ويتجنبوا محارمه .

« ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ، قرآنا عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون »(٣) .

فعلى ضوء ما ذكر يمكننا معرفة ما شرعه الله تعالى فى كتابه الكريم لإعداد النفوس وتهيأتها تهيئة كاملة لتحقيق تقواه حق تقاته إذا ما أقبلت عليه وأخذت به واحتكمت إليه فى كل ما يعن لها من فعل وترك ، ولكى يتحقق ذلك كثر فى القرآن أمر الناس بتقوى الله وجاء ذلك على أساليب مختلفة وتنبيهات متعددة مذكراً حيناً بنعمة الخلق وحينا بنعمة الرزق وحينا بهول الساعة ويوم الجزاء .

---

(١) الأعراف آية ١٦٤ (٢) طه آية ١١٣

(٣) الزمر آية ٢٦ ، ٢٧

«يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا».

«واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون».

إلى غير ذلك من الآيات وقد كان الأمر بالتقوى صادر من جميع المرسلين لأقوامهم لا فرق فى ذلك بين أولهم وآخرهم حتى لكأنهم التقوا جميعاً على هذه الكلمة ... «أفلا تتقون» ... «فاتقوا الله وأطيعون».

غنى الله عن تقوى عباده:

وعلاوة على بيانه تعالى ما شرعه لإعداد النفوس لتقواه فإنه بين الثمرات المترتبة على القيام بموجبات هذه التقوى وبيانه ذلك وعد منه ووعده يستحيل عليه أن يخلف.

«وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون»...(١)

وبعد هذا البيان منه أيتمن آيات كمال كرمه وعظيم فضله وتمام استغنائه عن تقوى عباده لأن تقوى العباد إياه لا تجلب له تعالى نفعاً كما أن عدمها لا يلحق به ضرراً.

«ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنياً حميدا»...(٢).

---

(١) الروم آية ٦ (٢) النساء آية ١٣١

غنياً عن كل شيء بذاته لذاته ولأن كل شيء له ومنه محموداً بذاته لذاته وكمال صفاته محموداً على جميع أفعاله لأنه أحسن كل شيء خلقه فهو لايحتاج إلى تقوى أحد لتكميل نفسه ولا إلى أحد من خلقه لتحقيق حمده.

« وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم »(١).

« وفي الحديث القدسي المروى عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل « ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى. يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »(٢).

شروط التقوى :

ونحن إذ نتتبع حديث الله عن ثمرات التقوى فى القرآن الكريم نجد أن التقوى لن تؤتى ثمارها المرجوة منها إلا بشروط لا بد من توافرها فيها.

أولها : أن تكون مرتكزة على ركن ركين وأساس متين من الإيمان الكامل.

(١) الأسراء ٤٤ (٢) صحيح مسلم